هوامش

ينظم متحف تيت غاليري في لندن، حتى السابع من يوليو/ تموز المقبل، معرضاً لأعمال الفنان جون سينغر سارجنت تحت عنوان «سارجنت والموضة». تُعرض أعماله مع أمثلة من الملابس الأصلية التي رسمها

من معرض «سارجنت والموضة» (الأناضول)

سارجنت والموضة

عودة إلى الأزياء الراقية في القرن الـ19

ريم ياسر

بدأت الملامح الأولى للموضة وتصاميم الأزياء، بالمعنى الحديث للمصطلح، خلال القرن التاسع عشر في أوروبا أو في باريس تحديداً، مع توظيف مصممي الملابس العديد من المساعدين والعاملين. في هذه الأثناء، كانت تتشكل تجربة الفنان جون سينغر سارجنت (1856- 1925) أحد أمهر فناني البورتريه في القرن التاسع عشر.

كان سارجنت مولعاً بالموضة وأشكال الأزياء في عصره، وتميز بتوظيفه لها في أعماله كما لم يصورها فنان من قبل. ساعده على ذلك قربه من دوائر المجتمعات الراقية في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، وهي الأماكن التي عاش فيها سنوات ممتدة من حياته. من أجل تسليط الضوء على هذا الجانب في حياة هذا الفنان، ينظم متحف تيت غاليري في لندن، حتى السابع من يوليو/ تموز المقبل، معرضاً لأعماله تحت عنوان «سارجنت والموضة». في هذا المعرض، تُعرض أعمال سارجنت مع أمثلة من الملابس الأصلية المصورة في لوحاته.

ولد سارجنت في إيطاليا لأبوين من أميركا الشمالية، وعاش متنقلاً بين دول أوروبية عدة عندما كان طفلاً، قبل أن يكتسب شهرته الفنية في باريس. في عام 1886، استقر في لندن، على الرغم من استمراره في السفر بين أوروبا والولايات المتحدة الأميركية. جسد سارجنت القيم العالمية للمجتمع الراقي في القرن التاسع عشر، الذي كان ينتمي إليه العديد من جليساته. في دوائر هذه المجتمعات الراقية، كانت الملابس الفاخرة ذات دلالة خاصة، إذ وصفتها الكاتبة الأميركية إديث وارتون في روايتها «عصر البراءة» بأنها كانت مثل الدرع في قدرتها على منح ميزة اجتماعية. كما كانت صور البورتريه الشخصية قادرة على ترسيخ الانطباعات حول الأشخاص، إذ يمكن لخيارات الملابس التي تنطوي عليها هذه الصور تحسين سمعة الأشخاص أو الحط من شأنهم.

استطاع سارجنت أن يوفق في أعماله بين رغبات جليساته وتطلعاته الفنية. لم يكن جون سينغر سارجنت يرسم جليساته فحسب، بل كان يخرج المشهد وتصميمه على أفضل صورة ممكنة، فكانت كل تفصيلة في لوحاته موضوعة في مكانها، وكل ثنية من ثنيات الأقمشة مصممة بعناية. مثلت أشكال الملابس والأقمشة محفزاً لإنشاء هذه المشاهد الجذابة، وعمل الفنان على تثبيت ملابس جليساته ولفها وطيها لخلق تأثيرات مختلفة وجديدة، فكانت جلسة التصوير تتسم بالصعوبة، ومصدراً لمعاناة جليساته أحياناً.

ارتبطت الملابس السوداء تاريخياً بالحداد، غير أن هذه الفكرة بدأت تتغير مع توظيف اللون الأسود من قبل مصممي الأزياء في تلك الفترة، والتعامل معه كلون عصري مناسب لكل المناسبات. ينعكس هذا التغير في التعامل مع اللون الأسود على لوحات سارجنت بوضوح، الذي رسم ما يقرب من نصف جليساته من مختلف الأعمار وهن ترتدين عباءات سوداء.

بين هذه الأعمال، لوحة السيدة فيرجيني غوترو وكانت إحدى الشخصيات البارزة في المجتمع الباريسي في القرن التاسع عشر. لوحة غوترو تعد أحد أهم أعمال سارجنت وأكثرها إثارة للجدل، فرغم فرادتها وجمالها، إلا أنها تسببت في ترك الفنان باريس وعدم العودة إليها مرة أخرى. عرضت هذه اللوحة لأول مرة عام 1884 في الصالون الذي أقيم في قصر الشانزليزيه في باريس. أظهرت اللوحة في الأصل حزام الكتف الأيمن المرصع بالجواهر وقد انزلق عن كتف السيدة غوترو، وكان ذلك سبباً في تعرض اللوحة للسخرية الشديدة من قبل النقاد والجمهور ووصفها بعدم الاحتشام. اضطر سارجنت بعدها إلى معالجة اللوحة من جديد وإعادة الحزام إلى موضعه على الكتف، غير أن الأمر تسبب في تضرر سمعة سارجنت في أوساط المجتمع الفرنسي، ما اضطره إلى مغادرة باريس نهائياً والاستقرار في لندن قبل العودة مرة أخرى إلى الولايات المتحدة. احتفظ سارجنت بهذه اللوحة حتى بعد وفاة غوترو في عام 1915، وباعها لاحقاً إلى متحف متروبوليتان للفنون في نيويورك. وفي رسالة إلى مدير المؤسسة، كتب سارجنت «أعتقد أن هذا هو أفضل شيء قمت به».

من الملاحظ هنا أن العديد من الأزياء التي ارتدتها جليسات سارجنت كانت من تصميم تشارلز فريدريك وورث (1825- 1895)، وهو أحد المصممين الذين سيطروا على الموضة الباريسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد تزامنت أكثر سنوات وورث نجاحاً مع ذروة مسيرة سارجنت المهنية رساماً للبورتريه. كان وورث أول من ابتدع عروض الأزياء بعرض تصاميمه على عارضات حقيقيات، وترسخت في عصره سمعة باريس عاصمةً للموضة.

باختصار

ولد سارجنت في إيطاليا لأبوين من أميركا الشمالية، وعاش متنقلاً بين دول أوروبية عدة عندما كان طفلاً، قبل أن يكتسب شهرته الفنية في باريس

■■■

لم يكن جون سينغر سارجنت يرسم جليساته فحسب، بل كان يخرج المشهد وتصميمه على أفضل صورة ممكنة، فكانت كل تفصيلة في لوحاته موضوعة في مكانها

■■■

ارتبطت الملابس السوداء تاريخياً بالحداد، غير أن هذه الفكرة بدأت تتغير مع توظيف اللون الأسود من قبل مصممي الأزياء في تلك الفترة، والتعامل معه كلون عصري مناسب لكل المناسبات

وأخيراً

سوريون في أوروبا

خطيب بدلة

شهدت البلاد الأوروبية، خلال العقد الماضي، حركة لجوء غير مسبوقة. معظم اللاجئين من أبناء البلاد العربية، وبالأخص سورية التي شهدت، بعد عام 2011، حركة تهجير مُرعبة. أول ما قيل، ويقال في هذا الشأن، أنّ الحكومات الأوروبية رحّبت باللاجئين، لأنّ شعوبها قليلة الإنجاب؛ الرجل والمرأة الأوروبيان، اللذان يعيشان في بيت واحد، إذا تزوجا رسمياً، يَعتبران إنجاب ولد واحد قليلاً وإنجابَ ولدين كثيراً. وهكذا، يبدو أنّ معدّل الولادات في أوروبا: ولد ونصف لكلّ أبوين (!)

يمكن للأوروبيين أن يردّوا على هذا الزعم بكلام بسيط للغاية، يقولون لنا: نعم، نحن بحاجة لليد العاملة، وتجديد الدم في عروق مجتمعاتنا، ولكنّنا لم نرسل إليكم بطاقة دعوة مُذَهَّبَة لتشرّفونا، والصراعُ الدائر في بلادكم بين السلطة القمعية والشعب، الذي تحوّل بعد سنة من انطلاق ثورتكم إلى صراع دامٍ على السلطة، لا يَدَ لنا فيه، ومع هذا وذاك، ها نحنُ نفتح لكم بلادنا، ونؤويكم، ونقدّم لكم ما تحتاجونه، من دون قيد أو شرط، مع خالص الاحترام لشخصكم الإنساني الكريم. المعضلة الأساسية في هذه المسألة، برأي كاتب هذه السطور، تنحصر في أنّ البيئة التي غادرها اللاجئون تختلف عن البيئة الجديدة اختلافاً يصل إلى حدّ التناقض، فنحن أبناء مجتمعات قمعية، فوضويون، شبه أميين، نخاف من الشرطي، ونقدّس الأمة ونحتقر الفرد، متشبّعون بتشكيلة واسعة من العُقَد النفسية، وفجأة صار مطلوباً منّا أن نعيش في مجتمع مُنظّم، يحترم العلم والعمل، وحقوق المرأة والطفل والشيخ والحيوان، ويحتكم إلى القانون، ولا يلتفت إلى الحكي والمواعظ والنصائح.

عانى اللاجئون السوريون في أوروبا بسبب هذا التناقض، وصدرت عنهم أفعال أزعجت سلطات البلاد التي يعيشون فيها وشعوبها، فكم كانت مفاجأتهم كبيرة، وصدمتهم مهولة، عندما عرفوا أنّ دائرة الرقابة الاجتماعية (السوسيال؛ تتدخّل بين الزلمة وعيلته)، فلا تسمح له أن يضرب امرأته أو يرفس طفله الصغير. وعلى هذا الأساس، تفجّر صراع اجتماعي كبير، وكثرت حوادث الطلاق بين السوريين، ولعلّه من الطريف الإشارة إلى أنّ مدينة أيسن الألمانية أصبحت تعرف بـ«مدينة المطلّقات». والتسمية تشير إلى أنّ السيدات هن اللواتي طلبن الطلاق، ووجدنه ممكناً، لأنّ الدولة تحفظ حقوق المطلقة القانونية والمعيشية، بينما المرأة في مجتمعنا إذا طُلّقت «تتبهدل»، ولا تجد لها معيلاً ولا نصيراً. أمّا موضوع الأطفال، فحدّث ولا حرج عن الحملات الإعلامية التي شُنَّتْ، في أقنية «السوشيال ميديا»، على «السوسيال»، خصوصاً في السويد، من الأهالي الذين أُخِذَ منهم أطفالُهم، لإثبات أنّهم مظلومون، والزعم إنّهم يَضْرِبون أطفالهم محضُ افتراء، وأراد فريق من المهاجمين «عنصرة» القضية، فقالوا إنّ الاستهداف يخصّ أطفال المسلمين. أمّا المدافعون عن موقف الدولة فقد أوضحوا، وبالأدلة، أنّ قانون حماية الطفل من العنف الأسري موجود ومطبّق قَبْلَ قدوم اللاجئين بزمن طويل، وحاولوا أن يثبتوا كذلك أنّ الأطفال الذين أخذتهم الدائرة تعرّضوا، بالفعل، للضرب، وأحياناً للتحرش. وعليه، فإنّ هذه الحملات الإعلامية نوع من «الزعبرة والهوبرة».

> البيئة التي غادرها اللاجئون تختلف، فنحن أبناء مجتمعات قمعية، وفجأة صار مطلوباً منّا أن نعيش في مجتمع مُنظّم

لم يستطع اللاجئون العرب والسوريون أن يستوعبوا فكرة أن يقوم القانون بحماية الإنسان وأخذ حقوقه، والأصحّ (عندهم) أن يأخذ الإنسان حقّه بذراعه، ولذلك انتشرت في شوارع المدن الأوربية ظاهرة جديدة تماماً، وهي المشاجرات الفردية (الوَلودة)، بمعنى أنها تبدأ برجلين، وبعدها تتوالد وتتحوّل خلال زمن قصير مشاجرةً جماعيةً طاحنةً، مثل ما حصل في منطقة شمالي الراين، عندما ساعد «الواتس أب» أقارب الفريقين المتشاجِرَيْن على التوجّه بالقطارات، والحافلات والسيارات الخاصة، من مختلف أنحاء أوروبا، إلى مكان المعركة، الأمر الذي اضطر رجال الشرطة في المدينة (المنكوبة بلاجئيها) أن يقيموا حواجز على الطرق المؤدّية إليها، ويمنعوا دخول كل مَنْ يحمل هوية توحي بأنّه جاء يشارك في المعمعة إلى المدينة (!)

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**